هوية»، ان الغاية من اعلان الكفاح المسلح هي الاعلان لليهود والعالم عن استمرار وجود الشعب الفلسطيني، ورمي قفاز التحدي في وجه الحكومات العربية. وبكلمات اخرى، كانت الغاية تحريك «الركود» الذي ساد ساحة الصراع العربي مع اسرائيل؛ وفهم بعض الحكومات العربية، آنذاك، ان المشروع الفلسطيني الوليد غايته «توريطه» في الحرب، فعمل كل بطريقته للحد من تأثيره. لكن اسرائيل التي استوعبت آفاق المشروع الفلسطيني، لم تمهل الحكومات العربية، فسارعت الى شن الحرب (١٩٦٧) بهدف اكراه الدول العربية على عقد السلام معها (سلام القوة). وكان اعلان قادة اسرائيل، في نهاية تلك الحرب، عن انهم ينتظرون رنين الهواتف من القاهرة وعمان ودمشق لبدء مباحثات السلام تعبيراً عن الاهداف السياسية العليا لتلك الحرب. ولم يفهم الاسرائيليون (وهم غربيون)، وكذلك العالم الغربي عموماً، النفسية الشرقية للعالم العربي وحكامه، مع ان تظاهرات التاسع والعاشر من حزيران (يونيو) ١٩٦٧، في القاهرة، التي طالبت عبدالناصر بالتراجع عن استقالته، التي جاءت رداً على هزيمته، وتحمّل مسؤولية العمل لـ «ازالة آثار العدوان»، كانت تعبيراً واضحاً عن تلك النفسية. وعلى ذلك، كان رد عبد الناصر على الهزيمة، واستجابة لـ «الثقة» التي منحته اياها جماهيره، رفع اللاءات الثلاثة: «لا، للصلح؛ لا، للتفاوض؛ لا، للاعتراف باسرائيل»، وشعاره القائل ان «ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة».

ولم يكن الهدف في مستوى الشعارات؛ فازالة آثار العدوان دون مستوى الشعارات المعلنة؛ ولذا، جاء الرد العسكري التكتيكي باعلان حرب الاستنزاف على الجبهتين، المصرية والسورية؛ بينما أُجيز للاردن البحث في السبل السياسية لاستعادة الضفة الغربية، من خلال علاقته المتميزة بالولايات المتحدة؛ في المقابل، كاستجابة للشعارات الكبيرة، تمّ تبني المقاومة الفلسطينية المسلحة ودعمها.

والتقطت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية اللحظة التاريخية التي وفّرتها الهزيمة، فعملت على محورين: احدهما من داخل النسق العربي لابراز خصوصيتها الفلسطينية؛ والثاني باتجاه الفلسطينيين (دعاوياً) لبلورة شخصية وطنية فلسطينية في موازاة الشخصيات القطرية العربية الأخرى؛ وكانت المخيمات الفلسطينية في الشتات الاكثر استجابة للطرح الفلسطيني الجديد، بحكم وضعها الاجتماعي الدوني في المجتمعات العربية التي كانت مواطن لجوء لها.

لكن التاريخ يجري حسب قوانينه، لا حسب تمنّيات البعض. فمع اعلان وقف حرب الاستنزاف على الجبهتين، المصرية والسورية، واعلان مصر القبول بمشروع روجرز الاميركي (١٩٧٠) للتسوية، ظهر مباشرة تبرّم بعض الدول العربية بالنشاط الفلسطيني المسلح من على اراضي تلك الدول، فأغلق بعضها حدوده في وجه مثل هذا النشاط، وشن آخرون حرباً على المنظمات الفلسطينية المسلحة (لبنان والاردن) لانهاء ظاهرة المقاومة الفلسطينية التي شكلت الرافعة لبلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية. وبدا كأن هناك اتفاقاً اسرائيلياً ـ عربياً على طي الموضوع الفلسطيني بما هو قضية شعب؛ فقابله التركيز الفلسطيني على تكريس الخصوصية الفلسطينية. وتمكنت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية (م.ت.ف.) من عبور «جحيم» السبعينات العربي، مسجلة، خلالها، انتصارات سياسية تمثّلت في انتزاع الاعتراف بها، عربياً ودولياً، ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني، ومعلنة بذلك قبولها الضمني، بشروطها، بالانضواء داخل النسق العربي الذي تبنّى، بشكل معلن، بعد حرب العام ١٩٧٣، اتجاه التسوية السلمية، مؤكدة انها «الرقم الصعب»، الذي لا يمكن التوصل الى التسوية السلمية مع اسرائيل الا بارضائه أو الغائه. وقدّم عدم وجود استراتيجية عربية موحدة تجاه الصراع مع اسرائيل والتعارض فيما بين بعض الحكام العرب المساعدة الى الحركة الوطنية الفلسطينية